الأمثال

من الكتاب والسنة

لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي

من علماء القرن الثالث الهجري

تحقيق

علي محمد البجاوي

دار نهضة مصر للطبع والنشر
الفجالة - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلام على أشرف المرسلين .

وبعـدُ فهذا كتاب « الأمثال من الكتاب والسنة » لإمام من أئمة المسلمين هو أبو عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى .

أُقدمه محقَّقاً للقراء بعد أن ظلَّ ـ على ما أعلم ـ منسيًّا إلى الآن ، لم تمتدّ إليه يد فتخرجه للناس .

بل لم يكن يعرفُه إلا القليل الذين أشاروا إليه حين كتبوا فى موضوعه « الأمثال » ؛ ومن هؤلاء الأستاذ محمود بن الشريف فى كتابه « الأمثال فى القرآن » ، وإن كان قد ذكره باسم « رسائل الحكيم الترمذى » (1) .

بل إنَّ القرطبي فى تفسيره رجع إلى هـذا الكتاب ، ونقل عنه ، ولكن يذكره باسم « نوادر الأصول (2) » ، وهو غير كتابنا هـذا كما سترى بعد .

والكتابُ كما ستراه فى ثلاثة أقسام : الأمثال من القرآن . الأمثال من الأحاديث والأخبار . أمثال الحكماء .

---

(1) الأمثال من القرآن : ١٢٠

(2) الجزء السابع من تفسير القرطبي : ٣٢٢ مثلا . وانظر هامش صفحة ١٦ من هـذا الكتاب .

ويدخل فى هذا القسم الأخير أمثالٌ من عند الحكيم الترمذى نفسه .

ومما تجدرُ الإشارةُ إليه هنا أن المؤلفَ لم يقصد الاستقصاء فى واحد من هذه الأقسام ، بدليل أنه ترك كثيراً من أمثال القرآن الكريم ، وأمثال الأخبار .

وفى رأيى أنه قصد إلى نماذج من هذه الأمثال فيها عظة وعبرة ، وتعليم وفقه ، وحكمة ودين ، وحاول دائماً أن يكونَ أثره عظيا ، وعظاته أشمل .

على أنه فى كل ما جاء به كان يدورُ فى محيط القرآن الكريم ، والسنة المحمدية ، حتى تلك الأمثال التى رواها عن الحكماء والعلماء ، والتى ساقها من عنده — أيدها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ليعزز آراءه ، مما يدلُّ على إيمانٍ صحيح ورغبة أكيدة فى محاولة الوصول إلى عقل القارئ والأَخْذِ بيده إلى الطريق المستقيم .

وهو حين يشرح بعضَ الآيات فى سياق موضوعه كان يتجه أحياناً إلى تفسير صوفى فيه بعضُ الغموض ، فحاولتُ جهدى أن أُقربَ هذا التفسير إلى القارئ ، وذلك بشَرْح بَعْضِ ما يحتاجُ إلى شرح فيه ، أو بإثبات تفسير هذه الآيات من كتب التفسير

المعروفة ، وأثبتُّ ذلك فى هامش الكتاب ؛ لأُعِين القارئَ على الفهم ، وأَضَعَ بين يديه ما يساعده على الموازنة .

هــذا الكتاب

هذا الكتاب فى مجموعة مخطوطة من مؤلفات الحكيم الترمذى، وفى الصفحة الأُولى منها ما يأْتى :

مجموع فيه اثنا عشر كتاباً للحكيم الترمذى :

الأَول ـ كتاب الصلاة ومقاصدها .

الثانى ـ الحج وأَسراره .

الثالث ـ الاحتياطات[1] .

الرابع ـ الجمل اللازم معرفتها .

الخامس ـ الفروق ومنع الترادف ـ من أَجل مصنفه[2] .

السادس ـ حقيقة الآدمية ، واسمه الكتاب « الرياضة فى تعلق الأَمر بالخالق » .

السابع ـ غرس الموحدين[3] .

(١) وهو فى خلوص العبادة والاحتياط من النفس .

(٢) وهو فى ذكر الأفعال والأخلاق الفاضلة وأضدادها وبيان الفرق بينها . قال السبكى (٢ ـ ٢٠) : ليس فى بابه مثله ، يفرق فيه بين المداراة والمداهنة ، والمحاجة والمجادلة ، والمناظرة والمغالبة ، والانتصار والانتقام ، وهلم جرا . . من أمور متقاربة المعـنى .

(٣) وهو فى بيان الصلاة والطهارة وأدائهما على وجههما .

الثامن ـ الأعضاء والنفس [١] ، وفيه تفسير آيات عظيمة .

التاسع ـ منازل العباد من العبادة [٢] .

العاشر ـ العقل والهوى [٣] ـ وهو جليل الفوائد .

الحادى عشر ـ الأمثال من الكتاب من السنة ، ومن كلامه ـ مفيد جداً . وهو هذا الكتاب الذى عرفناك به .

الثانى عشر ـ كتاب « المنهيات » أو « المناهى » وهو غريب فى بابه [٤] .

جميع هذه الكتب المذكورة من مصنفات الأستاذ العلامة العالم الأوحد الإمام الحكيم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى قَدَّس الله رُوحَه .

وفى أعلى الجانب الأيسر من هذه الصفحة تمليك غير مقروء ،

---

(١) أوله : الحمد لله ولى الحمد وأهله . . . أما ما سألت عن صفة القلب وأسمائه وصفة الصدر وأحواله وصفة النفس . . .

(٢) أوله بعد الديباجة : أما بعد فإنكم سألتمونى وصف منازل العباد من هذا الدين وأن أذكر لكم فى كل منزلة منها من طريق الكتاب المنزل والحديث المأثور ـ ما يكون شاهداً على وصفى . . .

(٣) وأوله : باب العقل والهوى ، وللعقل خمسون ـ أعوان ، وللهوى خمسون ـ أعوان . عد فيه أقسام العقل والهوى مفسراً كل قسم على حدة ، الموجود منه عشرون قسما من أقسام العقل فقط ، وينتهى ما فيه إلى تعريف الشكر . . .

(٤) جمع الأحاديث النبوية الواردة فى النهى .

وتحته : تشرف بتملكه أفقر الورى صالح بن مصطفى رضى الله تعالى عنه .

وبعد المكتوب فى النسخة المغربية ما يأتى :

الشيخ الإمام الأجل أبو المكارم الحسين بن محمد بن عثمان . . . والعلامة بذر الدين شمس المعرفة ، تاج السنة ، سراج الأمة ، ناصر الحق ، ناصح . . . . .

مؤلف الكتاب[1]

هو أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن بن شير الترمذى المؤذن ، المعروف بالحكيم . متكلم سُنّىّ ، ومحدث متصوّف ، وفقيه حنفى ، من أجلِّ كتَّاب مشايخ خراسان ، عالم بالحديث وأُصول الدين من أهل ترمذ ، سمع الكثير من الحديث بخراسان والعراق ، وحدّث عن أبيه ، وعن قُتيبة بن سعيد . وروى عنه يحيي بن منصور القاضى وغيره من علماء نيسابور .

وكان إماماً من أئمة المسلمين ، له المصنفات فى أُصول الدين ،

---

(١) رجعنا فى هـــذه الترجمة إلى المصادر الآتية :
لسان الميزان لابن حجر : ٥ — ٣٠٨ ، الأعلام للزركلى : ٧ — ١٥٦ ، طبقات السبكى : ٢ — ٢٠ ، دائرة المعارف الإسلامية : ٥ — ٢٢٧ ، كشف الظنون : ١ — ٩٣٨ ، معجم سركيس : ٦٣٣ ، حلية الأولياء : ١٠ — ٢٢٣

ومعالى الحديث . وله كتاب « نوادر الأصول » مشهور ، رواه عنه جماعة بخراسان .

وهو عالم متواضع : قد نقل عنه أنه كان يقول[1] : ما وضعْتُ حرفاً على حرف ليُنْقَلَ عنى ، ولا لِيُنْسبَ إلىّ شئٌ منه ، ولكن كنتُ إذا اشتدَّ على وقتى أتسلَّى بمصنَّفاتى .

وقيل إنه هجر ترمذ فى آخر عُمْره بسبب تصنيفه كتاب « ختم الولاية وعلل الشريعة » ؛ وحُمل إلى بَلْخ ، فأكرموه لموافقته لهم فى المذهب – يعنى الرأى .

قال فى لسان الميزان :

وبلغنى أن أبا عثمان سُئل عنه فقال : تنبَّئُوا عنه شرًّا من غير سبب . وذكره القُشَيْرى فى الرسالة ، وقال : كان من كبار الشيوخ ، وله تصانيف فى علوم القوم .

وقال فى دائرة المعارف الإسلامية : وهو يدعو إلى الأخلاق الشريفة ، ويلعن فى كتابه « الأقباس » النِّفَاق بأنواعه ، ويرفض الحِيَلَ التى كان يلجأُ إليها المفتون فى عصره . قال : ويُعَدُّ الترمذى بحقٍّ رائدَ ابن عربى الذى جاء بعده بثلاثة قرون ، فدرسه عن كثَب وأُعجب به .

وقد ردَّ ابنُ حجر على ابن العديم حين وصفه بأنه لم يكن من

(١) الحلية : ١٠ – ٢٣٣

أهل الحديث .... وقال : لعمري ، لقد بالغ ابنُ العديم فى ذلك ؛ ولولا أنَّ كلامه يتضمن النقلَ عن الأئمة لما ذكرته ، ولم أقف لهذا الرجل مع جلالته على ترجمة شافية .

وذكرهُ أبو نعيم فى الحلية [1] ، فقال :

صنَّف التصانيف الكثيرة فى الحديث ، وهو مستقيم الطريق ، تابع للأثر ، يردُّ على المرجئة وغيرهم من المخالفين ، وذكر شيئاً من كلامه ؛ منها قوله :

كفى بالمرءِ عَيْبًا أَنْ يسرَّه ما يضرُّه . ومنها قوله ـ وقد سئل عن الخلق ، فقال : ضَعْفٌ ظاهر ، ودَعْوى عريضة .

واضطرب مؤرخوه فى تاريخ وفاته ؛ فمنهم من قال : إنه توفى سنة ٢٥٥ هـ [2] ومنهم مَنْ أرّخ وفاته سنة ٢٨٥ [3] ، ومنهم

---

(١) الحلية : ١٠ ـ ٢٣٣

(٢) ممن قال ذلك مفهرس المخطوطات فى القسم الأول من فهرس المخطوطات المطبوع سنة ١٩٦١ صفحة ٤٣٤ ، ومنهم المعلق على لسان الميزان (٥ ـ ٣١٠) ، إذ قال : الحكيم الترمذى المتوفى شهيداً سنة خمس وخمسين ومائتين . والله أعلم ، وأشار صاحب الأعلام (٧ ـ ١٥٦) إلى هـذا أيضاً فقال : فمنهم من قال : إنه توفى سنة ٢٥٥ هـ . كذلك صاحب كشف الظنون صفحة ٩٣٨ ، إذ يقول : الحكيم الترمذى المتوفى سنة ٢٥٥ هـ (خمس وخمسين ومائتين) .

(٣) ومنهم دائرة المعارف الإسلامية ٥ ـ ٢٢٧

مَنْ جعل وفاته سنة ٣٢٠ هـ[1] .

وقال فى الأَعلام (٧ ــ ١٥٦) : وينقض الأَول أن السبكى يذكر أنه حدث عنه بنيسابور سنة ٢٨٥ هـ ، كما ينقض الثانى قول ابن حجر[2] أن الأَنبارى سمع منه سنة ٣١٨ هـ .

مؤلفاته

سبق أَنْ ذكرنا من مؤلفاته اثنى عشر كتاباً حين أَثْبَتنا صورةَ ما جاءَ فى الصفحة الأُولى من مجموع كتبه :

ونضيف إلى ذلك من كتبه ما يأْتى :

١٣ ــ تحصيل نظائر القرآن ، وفى أوله ــ بعد الديباجة :

أما بعد ، فإنما نظرنا فى هذا الكتاب المؤلف فى نظائر القرآن فوجدنا الكلمة الواحدة مُفَسَّرة على وجوه ، فتدبَّرْنَا ذلك ، فإذا التفسير الذى فسرناه إنما اختلفت الأَلفاظُ فى تفسيره ، ومرجعُ ذلك إلى حكمة واحدة .

١٤ ــ الرد على المعطلة . . .

١٥ ــ المسائل المكنونة ، وأولها بعد الديباجة : جهد النفس حجاب المنَّة ، وجهد القلب هتك حجاب المنَّة .

(١) من هؤلاء لسان الميزان لابن حجر : ٥ ــ ٣١٠ ، إذ قال : عاش إلى حدود العشرين وثلاثمائة ، فإن الأنبارى ذكر أنه سمع منه سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة . وعاش نحوا من تسعين سنة . والله أعلم ، وكذلك قال فى الأعلام (٧ ــ ١٥٦) : وفاته نحـو سنة ٣٢٠ هـ .

(٢) : انظر الهامش السابق .

وهى كلها مخطوطة فى دار الكتب [1] .

١٦ ــ ختم الولاية وعلل الشريعة [2] .

١٧ ــ نوادر الأُصول [3] .

١٨ ــ الأَقباس [4] .

١٩ ــ رسائل الترمذى ؛ وهى مجموعة الكتب التى أشرنا إليها سابقا ، وقد سمّاها هذا الاسم مفهرس مخطوطات دار الكتب ، مع أنها نسخة مكتوبة عن إحدى النسختين المخطوطتين فى الدار لهذه المجموعة .

زاد كتاب الأَعلام فى كتبه أيضاً :

٢٠ ــ الأَكياس والمفترون ــ تصوف .

وزاد السبكى فى كتبه :

٢١ ــ عود الأَمر .

(١) فهرس المخطوطات .

(٢) لسان الميزان (٥ ــ ٣٠٨) ؛ ودائرة المعارف الإسلامية : ٥ ــ ٢٢٧

(٣) نوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول ؛ قال صاحب كشف الظنون(٩٣٨) : وعليه زوائد لجلال الدين السيوطى ، وهو الملقب سلوة العارفين وبستان الموحدين ، وله مختصر قدر ثلثه طبع فى الآستانة ١٢٤٩ هـ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية .

وقال فى دائرة المعارف :

« وقد بقى من تآليفه ما يَقْرُبُ من ثلاثين مصنفا ، أُسلوبها مُطْنب بعض الشئ ولكنها مع هذا حافلةٌ بالأَسانيد .

وكان أول من صنَّف فى طبقات الصوفية ، ولكننا لم نعرف هذا الكتاب إلاَّ من النقول التى أَخذَتْ منه .

* * *

ونظرة إلى هذه الآثار التى تركها المؤلف تُوحى بما كان عليه من ثقافة دينية واسعة ، وتدلُّ على اتجاه واضح فيه إلى بثِّ روح الدعوة ، وإيمان وثيق بها .

قال فى دائرة المعارف الإسلامية :

« وقد أَراد الترمذى أَن يُخرِّج تخريجاً عقليًّا الفرائض الشرعية فى كتبه « علل العبودية » ، « وشرح الصلاة » ، « والحج وأَسراره » .

نسخ الكتاب

فى دار الكتب المصرية من الكتاب نسختان [1] :

الأُولى بخط مغربى دقيق جدا ، به بعضُ الضبط ، وهى مصورة بالفوتستات عن نسخة خطية محفوظة ـ بالمكتبة الأَهلية ـ

---

(١) كل منهما ضمن مجموعة الكتب التى أشرنا إليها .

باريس[1] رقم ٥٠١٨ ، ويظنّ أنها من مخطوطات القرن الخامس الهجرى ، ضمن مجموعة من لوحة ١٤١ ـ ١٨٤ ، فى كل لوحة صفحتان ، ورقمها ٢١٨١٧ ب ، وقد رمزنا إليها بالحرف (ا).

والنسخة الأُخرى مصورة بالفوتستات أيضاً[1] ، عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة عاشر أفندى بالآستانة رقم ١٤٧٩ ضمن مجموعة من لوحة ٤٢ ـ ٩٧ ، و كل لوحة بها صفحتان ، وهى بخط فارسى جميل ، لولا أن بها بَعْضَ كلمات غير واضحة فى التصوير ، وهى قليلة على كل حال ، وبها أيضاً بعضُ الضبط الدقيق ، ورقمها ٢١٨١٦ ب ، وقد رمزنا إليها بالحرف (ب).

ومما ينبغى التنبيه عليه هنا أن هذه النسخة قد امتازت عن سابقتها بأن بها عناوين جانبية ، انتفعْتُ بها فى العناوين التى وضعتُها لموضوعات الكتاب فى ثنايا السطور ، مميزة بحروف غير حروف الكتاب ، وهى عناوين دقيقة ، فصّلت موضوع الكتاب ، وبينت أجزاءه ، وحددت للقارئ أهدافه[2].

وأرى أن هذه العناوين من وَضْع كاتب النسخة ، فهى غير موجودة فى النسخة المغربية السابقة.

---

(١) فهرس المخطوطات ـ القسم الأول : القاهرة ١٩٦١

(٢) بدار الكتب نسخة ثالثة منقولة بقلم أحد النساخ ، ولكنها ـ لكثرة ما فيها من تحريف ـ لا تستحق أن تكون مرجعاً للتحقيق ؛ بل لا يصح.

عملى فى الكتاب

قابلت النصَّ على النسختين ، وأشَرتُ فى الهوامش إلى الاختلاف بينهما إن وجد ، وضبطت ما يحتاج إلى الضبط ، لأُعين القارئ على الفهم . وخرَّجت الآيات القرآنية ، وأثبتُّ فى الهوامش سُوَرَها ، وأرقامَ آياتها . وكنتُ أحياناً أُكمِّل الآية إذا كان المعنى يحتاج إلى هذه التكملة .

وخرّجتُ الأَحاديث النبوية ، بالرجوع إلى كتب السنة ، وأشرت إلى ذلك فى هوامش الكتاب .

وشرحت بَعْضَ الأَلفاظ التى تحتاجُ إلى شرح ، وأثبتُّ فى بعض الأَحيان تفسير الآيات [1] من كتب التفسير المعروفة .

وأَشرت دائماً إلى مراجع التفسير ، والبحث ، والشرح ، والضبط ، من كتب التفسير والحديث ، واللغة ، والتراجم ، وغيرها ، مما تراه فى هوامش الكتاب .

ووَضَعْتُ أكثر العناوين التى وجدتها مثبتة فى النسخة الفارسية ، وميزتها بحروف غير حروف الكتاب .

وختمت الكتاب بفهارس منوعة تعين على البحث فيه والإفادة منه .

---

(١) سبقت الإشارة إلى سبب ذلك .

بقى أن أقول : إن فى نسختى الكتاب بَعْضَ عبارات ـ وهى والحمد لله قليلة ـ لم أَهْتَدِ إلى الصواب فيها ، فتركتُها كما هى ، وقلتُ ـ فى الهامش : هذا بالأُصول .

ولعل غيرى يكون أَهْدَى منى إلى الصواب فيها .

والله أسأَلُ أَنْ ينفَعَ به قَدْرَ ما بذلتُ من جهد وما قَصَدْتُ من خير ، وهو نعم المولى ونعم النَّصِير .

مصر الجديدة : ربيع الأول ١٣٩٥ هـ
أبريل سنة ١٩٧٥ م

على محمد البجاوى